

السلوك العدواني عند الأطفال

الأستاذ أشرف الملافي محمد زيادة.

عضو هيئة تدريس محاضر- كلية الآداب صبراته - جامعة الزاوية – ليبيا.
طالب دكتوراه – كلية علوم التربية – جامعة محمد الخامس –
المغرب.

achraf1977@outlook.fr

مقدمة

يمثل العدوان ظاهرة سلوكية واسعة الانتشار تكاد تشمل العالم بأسره ولم يعد مقصوراً على الأفراد، وإنما اتسع نطاقه ليشمل الجماعة والجماعات، بل يصدر أحياناً من الدول والحكومات، ولهذا كان من أكثر الموضوعات التي حظيت بالدراسة والمناقشة في ميدان علم النفس وغيره من ميادين العلم والمعرفة كالدين والفلسفة والاجتماع، وتعود البدايات الفعلية لدراسة هذه الظاهرة إلى أوائل القرن الماضي، حينما كتب فرويد عن العدوان في كتابه الذي نشر عام (1905) تحت عنوان ثلاث مقالات في نظرية الجنس.

والعدوان معروف وملاحظ في سلوك الطفل الصغير، والراشد الكبير وفي سلوك الإنسان السوي وغير السوي، وإن اختلفت الدوافع والوسائل والأهداف والنتائج، وتختلف أشكال التعبير عن العدوان باختلاف السن، والثقافة والوضع والطبقة والمستوى الاجتماعي والاقتصادي، فضلاً عن أسلوب التربية والتنشئة والتكوين النفسي والنمو الخلقي الذي نشأ عليه الفرد (عون نوري عون، 2012: 15).

ويستخدم مصطلح العدوان عادة للإشارة إلى بعض الاستجابات أو الأنماط السلوكية التي تعرف من الوجهة الاجتماعية بأنها مؤذية أو ضارة أو هدامة، ومن الأمثلة على هذه السلوكيات: الاستهزاء بالآخرين، والاعتداء على ممتلكات الغير، واستخدام الأيدي والأرجل للانداء وضرب الآخرين، والعدوان ليس دائماً موجهاً نحو الأشخاص فقد يكون موجهاً نحو الأشياء والممتلكات، فمثلاً التلميذ الذي يقوم بتخريب الأثاث المدرسي، أو تكسير النوافذ الزجاجية أو إتلاف مراكز الإضاءة المدرسية.... الخ، هذه السلوكيات قد تكون ناتجة عن حالات الإحباط التي يتعرض لها التلميذ في المدرسة، أو المنزل، أو في الحي الذي يسكنه. والعدوانية استجابة مؤذية غير مقبولة اجتماعياً لأنها تمس حقوق الآخرين وتلحق بهم الأذى والضرر بهم، وللعدوان بثلاثة أصناف:

- توجيه العدوان ضد الشيء أو الشخص المسبب للإحباط أو أي شيء آخر في بيئة الطفل.

- توجيه العدوان نحو الذات، أي أن الطفل يوجه العدوان ضد نفسه.

- محاولة تجنب حالة الإحباط بأي تصرف آخر ففي حالة فشل الفرد في الدراسة فإنه يركز على الرياضة أو أي شيء يكون ماهراً فيه. (محمد حسن العمامرة، المشكلات الصفية: 116)

تعريف السلوك العدواني

تعددت التعريفات التي تناولت مفهوم العدوان وذلك نظراً لأن السلوك العدواني سلوك معقد وأسبابه كثيرة ومتشابهة، إضافة إلى أن هذا السلوك قد تناولته علوم كثيرة مثل علم النفس وعلم الاجتماع، ولتوضيح مفهوم السلوك العدواني نعرض فيما يلي بعض التعريفات:

1- تعريف عصام فريد (1986)، عرّف السلوك العدواني من خلال خمسة مجالات هي: العدوان البدني الموجه نحو الذات والآخرين، والعدوان اللفظي الذي يستخدم فيه المعتدي أجزاء الجسم المختلفة بهدف استنزاف المعتدى عليه وإنقاص قيمته والاستهزاء به وإهانته عن طريق الألفاظ والإيماءات والإشارات التي تدل على ذلك، والعدوان الموجه نحو إتلاف الممتلكات والإضرار بالأشياء، والعدوان الحيازي (التملك) وهو ذلك العدوان الناشئ عن الاستحواذ على ما يمتلكه الغير سرّاً وعلناً، وأخيراً العناد أو التحدي لأوامر الكبار ونظم المدرسة والمجتمع، والذي من مظاهره الفوضى والاستهتار بالعادات والاستخفاف بالكبار والآخرين ومضايقتهم والتمرد والعصيان ومخالفة القوانين (عصام فريد عبد العزيز، 1986:12)

2 – تعريف محي الدين أحمد حسين (1987): العدوان هو أي أذى مقصود يلحقه (الطفل) بنفسه أو بالآخرين سواء كان هذا الأذى بدنياً أو معنوياً أو مباشراً أو غير مباشر، صريحاً أو غير صريح أو ضمناً، وسليلاً أو غاية في ذاته، كما يدخل في نطاق هذا السلوك أيضاً أي تعدي على الأشياء أو المقتنيات الشخصية بشكل مقصود، سواء أكانت هذه الأشياء ملكاً للفرد أم الغير (علاء جابر عبود، 1994:18).

3 – تعريف نبيل حافظ، ونادر قاسم (1993)، السلوك العدواني: إنه سلوك ينطوي على شيء من القصد أو النية يأتي به الفرد في مواقف الإحباط التي يعاق فيها عن إشباع دوافعه أو تحقيق رغباته المشروعة أو غير المشروعة فتنتابه حالة من الغضب وعدم الاتزان تجعله يأتي من السلوك ما بسبب أدى له أو للآخرين والهدف منه تخفيض الألم الناتج عن

الإحباط والإسهام في إشباع الدافع المحبط فيشعر الفرد بالراحة ويعود الاتزان إلى شخصيته (نبيل حافظ، نادر قاسم، 1993: 32).

4- ويعرّف حسين فايد (2001) السلوك العدواني، بأنه سلوك يتسم بالأذى، أو التدمير، أو الهدم سواء كان موجهاً ضد الآخرين أو ضد الذات، وسواء تم التعبير عنه في شكل بدني، أو شكل لفظي (حسين علي فايد، 2001، 13)

مما تقدم يمكن اعتبار إن العدوان هو عبارة عن أفعال عنيفة جسمية أو لفظية أو رمزية تظهر على شكل سلوك عدائي أو تدميري قد يوجه نحو البيئة أو شخص آخر أو نحو الذات.

أسباب السلوك العدواني عند الأطفال

1 – الرغبة في التخلص من السلطة: يظهر السلوك العدواني لدى الطفل حينما تكون لديه الرغبة في التخلص من ضغوط الكبار التي تحول دون تحقيق رغباته.

2 – الشعور بالفشل والحرمان: يظهر عدوان الطفل أحياناً انعكاساً للحرمان وله ثلاث صور تسبب العدوان: الأولى عدوان كاستجابة للتوتر الناشئ عن استمرار حاجة عضوية غير مشبعة، والثانية: عدوان يعقب الحيلولة بين الطفل وما يرغب فيه أو التضيق عليه، والثالثة: حرمان يؤدي لعدوان نتيجة هجوم مصدره خارجي يسبب الشعور بالألم، وأحياناً يفشل الطفل في تحقيق هدف أكثر من مرة مثل النجاح في لعبة فيوجه عدوانيته إليها بكسرها أو يذفها بعيداً، وفي بعض الأحيان حينما يشعر الطفل بحرمانه من الحب والتقدير رغم جهوده لكسب ذلك يتحول سلوكه إلى سلوك عدواني.

3 – الحب الشديد والحماية الزائدة: الطفل المدلل تظهر لديه المشاعر العدوانية أكثر من غيره، فالطفل من هذا النوع وفي داخل ذلك الجو شديد الحماية، ومن ثم لا يعرف الطفل إلا لغة الطاعة لكل رغباته ولا يتحمل أبسط درجات الحرمان، ومن ثم تظهر سلوكياته العدوانية.

4 – الأسرة: لثقافة الأسرة دور كبير في تحديد مسئوليات العدوان التي يجب أن يتخذها الطفل تجاه ما يقابله، كما أن للعلاقات داخل الأسرة بين الوالدين أو بين الطفل وأحد الوالدين دوراً في تدعيم العدوانية لدى الأطفال، ومن توصيات (سيرز Sears) ، أن الطفل غالباً لا يكون عدوانياً إذا كان الأبوان يعدان العدوان أمراً غير مرغوب فيه أو لا يجب ممارسته إلا أن (بندورا Bandura) يفيد بأن الأطفال الذين يعاقبون على عدوانيتهم في المنزل يكونون عدوانيين في أماكن أخرى.

5 – تعلم العدوان عن طريق النموذج: يشير (بندورا - Bandura) إلى أنه من المحتمل أن يتعلم الطفل سلوكاً جديداً بمجرد مراقبته لفرد آخر يمارس هذا السلوك، وقد لوحظ ازدياد درجة العدوان لدى الأطفال الذين شاهدوا نماذج عدوانية لأشخاص مع لعب بلاستيكية أو أفلام مصورة عن أشخاص يتصرفون بعدوانية أو نماذج كرتونية تتصرف بعدوانية وتحطم نماذج العدوانية الحواجز التي تحول دون الطفل وممارسته للعدوانية، فوجود الطفل بين مجموعة أطفال يمارسون هذا السلوك يشكل عاملاً رئيساً في القضاء على الحواجز التي تحول دون ممارسة الطفل لهذا السلوك.

6 – تجاهل عدوان الأطفال: كانت النصيحة الموجهة للمربين هي تجاهل العدوان الذي ينشب بين الأطفال، غير أن الدراسات الحديثة تؤكد أن الوالدين الذين يتجاهلوا السلوك العدواني لأطفالهم، الذي يتميز بأنه أكثر عدوانية من أطفال الوالدين الذين يتجاهلوا السلوك العدواني لأطفالهم، كما أن تساهل المعلمين أو تجاهلهم لعدوانية الأطفال يرفع من مستوى العدوانية لدى هؤلاء الأطفال.

7 – الغيرة: فالطفل الذي يشعر بالغيرة من إخوته ربما يعبر عن ذلك بأذائهم، وربما يمتد عدوانه إلى والديه الذين يعتقد أنهما يظلمانه بتفضيل أخوته عليه، والعدوان الناتج عن الغيرة أما أن يأخذ الشكل الصريح الذي ذكرناه، أو يأخذ صورة العدوان السلبي، فنجد الطفل أصبح سلبياً متبلداً لا يفعل شيئاً، عنيداً لا يؤدي واجباته المدرسية ولا يريد أن يذهب إليها.

8 – ضعف القدرة العقلية: وهذا يجعل الطفل غير قادر على التكيف مع البيئة المحيطة به، فيصبح محبطاً و غاضباً وعدوانياً، وخاصة إذا كانت البيئة تحمله أشياء لا يستطيع القيام بها، وكمثال لذلك الطفل الذي يعاني من التخلف العقلي المتوسط أو البسيط ووضعه أبواه في مدرسة عادية، فوجد نفسه غير قادر على فهم الدروس وعمل الواجبات، لذلك نجده يضرب زملاءه في الفصل ويعتدي على أخوته في البيت، ويهرب من المدرسة، والطفل ذو القدرات العقلية المحدودة لا يستطيع حل المشكلات التي تواجهه بصورة اجتماعية مقبولة لأن خياراته تكون محدودة، لذلك يلجأ إلى استخدام يديه وأحياناً رجليه لحل المشكلة (محمد المهدي، 2008: 110)

9 – العوامل الفسيولوجية: تؤثر هذه العوامل في حدوث السلوك العدواني عند الأطفال، فنقص النوم والجوع وعدم السماح بممارسة بعض الألعاب الرياضية بحرية خارج المنزل، كل ذلك يدفع الطفل إلى نوبات من

الغضب التي قد تؤدي إلى سلوكيات عدوانية (محمد حسن العميرة، 2002، 120)

10 - الشعور بعدم الأمان وعدم الثقة أو الشعور بالنبذ أو الإهانة والتوبيخ.

الفروق بين الجنسين في السلوك العدواني

لقد دلت العديد من الأبحاث والدراسات على أن السلوك العدواني يمارس بدرجة مرتفعة لدى الذكور أكثر منه لدى الإناث، وذلك في مختلف الأعمار، وأن الذكور أكثر ميلاً إلى العدوان الجسمي أو المادي بينما تميل الإناث إلى العدوان اللفظي غير المباشر الذي يأتي في صورة إهانة أو تحقير بحيث يكون الضرر والأذى الذي يلحق بالشخص الآخر من جراء هذا العدوان نفسياً أكثر منه مادياً وأن الذكور عادةً يظهرون العدوان المباشر والعدوان الجسمي، ويرجع ذلك إلى أن الذكور أقوى جسمياً وأكثر إثارة بسبب هرمونات الذكورة، كما إن الأعراف والتقاليد الاجتماعية تشجع الذكور على السلوك العدواني وتوافق عليه، في حين لا توافق عليه عندما يأتي من الإناث، وعلى هذا الأساس يتم تشجيع الأطفال الذكور على العدوان ضد الآخرين، بينما لا تلقى البنات تشجيعاً على ذلك، بل يتم معاقبتها على سلوكها العدواني، بمعنى إن العدوان مسموح به بالنسبة للذكر ولا يحدث ذلك مع البنات.

فالتنشئة الاجتماعية هي أحد العوامل المسؤولة عن ظهور العدوان بشكل كبير لدى الذكور، حيث يتم تنشئة الولد على أنه رجل ويتعين عليه أن يكون قوياً وشجاعاً في حين يتم تنشئة البنت على أن تكون أكثر هدوءاً واستكانة وخنوعاً، وينكر المجتمع على الإناث الغضب والانفعالات الشديدة (طه عبد العظيم حسين، 2007: 206)

أشكال العدوان

يمكن تصنيف العدوان إلى أشكال مختلفة فيما يلي:

- 1 - العدوان اللفظي: عندما يبدأ الطفل بالكلام يظهر نزوعه نحو العنف بصورة الصياح أو القول والكلام أو يرتبط السلوك العنيف مع القول البذي الذي غالباً ما يشمل السباب أو الشتائم والتنازع بالألقاب ووصف الآخرين بالعيوب أو الصفات السيئة واستخدام كلمات أو جمل تهديد.
- 2 - العدوان التعبيري: يستخدم بعض الأطفال الإشارات مثل إخراج اللسان أو حركة قبضة اليد على اليد الأخرى المنبسطة وربما استخدم البصاق وغير ذلك.
- 3 - العدوان الجسدي: يستفيد بعض الأطفال من قوة أجسامهم وضخامتها في صدم أنفسهم ببعض الأطفال، ويستخدم البعض يده كأدوات فاعلة في

السلوك العدواني، كما قد تكون للأظافر أو الأرجل أو الأسنان أو الرأس أدوار فاعلة في السلوك العدواني.

4 – عدوان المنافسة: غالباً ما يكون السلوك العدواني حالة عابرة في سلوك الأطفال نتيجة المنافسة أثناء اللعب والغيرة والتحدي أثناء الدراسة وبعض المواقف الاجتماعية، وعادة ما تنتهي نوبة العدوان بالخصام والتباعد بين الطفلين، وسرعان ما ينسى الموضوع أو يعتذر عنه ويذوب الخلاف والتشاحن ويعود الأطفال إلى اللعب.

5 – العدوان المباشر: يقال للعدوان أنه مباشر إذا وجهه الطفل مباشرة إلى الشخص مصدر الإحباط، وذلك باستخدام القوة الجسمية أو التعبيرات اللفظية وغيرها.

6 – العدوان غير المباشر: ربما يفشل الطفل في توجيه العدوان مباشرة إلى مصدره الأصلي خوفاً من العقاب أو نتيجة الإحساس بعدم الندية فيحوّله إلى شخص آخر أو شيء آخر (صديق - ممتلكات) تربطه صلة بالمصدر الأصلي.

7 – العدوان نحو الذات: إن العدوانية عند بعض الأطفال المضطربين سلوكياً قد توجه نحو الذات، وتهدف إلى إيذاء النفس وإيقاع الضرر بها، وتتخذ صور إيذاء النفس أشكالاً مختلفة: مثل تمزيق الطفل لملابسه، أو كتبه أو كراساته أو لطم الوجه أو شد الشعر أو ضرب الرأس بالحائط أو السرير أو جرح الجسم بالأظافر أو عض الأصابع أو حرق أجزاء من الجسم أو كيها بالنار أو السجائر.

8 – العدوان العشوائي: قد يكون السلوك العدواني موجهاً نحو أهداف معينة واضحة وتكون له دوافعه وأسبابه البينة، ويخدم غرضاً أو يؤدي إلى نجاحات مادية أو معنوية، ولكن قد يكون السلوك العدواني أهوج وطائشاً ذا دوافع غامضة غير مفهومة وأهدافه مشوشة وغير واضحة، وتصدر عن الطفل نتيجة عدم شعوره بالخجل والإحساس بالذنب الذي ينطوي على أغراض سيكوباتية في شخصية الطفل، مثل الطفل الذي يقف أمام بيتهم ويضرب كل من يمر عليه من الأطفال بلا سبب وربما جرى خلف الطفل المعتدى عليه مسافة ليست قليلة، وقد يمزق ثيابه أو يأخذ ما معه، ويعود فيكرر مع كل طفل يمر أمامه، وربما تحايل عليه الأطفال إما بالكلام أو بالبعد عن المكان الذي يقف فيه هذا الطفل (زكريا الشرييني، 2008: 75)

قياس السلوك العدواني

تعددت طرائق قياس السلوك العدواني، وفيما يلي أهمها:

1- الملاحظة المباشرة.

ونعني بالملاحظة المباشرة: المراقبة المقصودة لرصد ما يحدث وتسجيله كما هو. (خليل قطب، 1996:87).

وتقوم هذه الطريقة على تدريب عدد من الملاحظين على استخدام نظام ملاحظة مباشرة للسلوك المراد قياسه أثناء حدوثه، وتتم الملاحظة في البيت، أو المدرسة، أو الفصل الدراسي، أو ساحة المدرسة، مثال على ذلك: حيث يقف المشاهد مثلاً خلف حجرة زجاجية تسمح بالرؤية في اتجاه واحد حتى يتمكن من ملاحظة الأشخاص بعد تعرضهم لجانب من جوانب الضيق، أو الإحباط، في العمل أو المدرسة لكي نراقب استجاباتهم العدوانية، وهل تتحول إلى عدوان جسدي، كذلك توضع أجهزة التسجيل بحيث يمكن دراسة التعبيرات اللفظية المعبرة عن العدوان وقياسه.

ومن مميزات هذه الطريقة أنها طريقة موضوعية تسمح للباحث بأخذ ملاحظات دقيقة، وكذلك تسمح له بالتركيز على سلوك معين خلال فترة زمنية محددة (نادية قطعاني، محمود برهوم، 1998: 24).

2 - التقارير الذاتية

في هذه الطريقة يقوم التلميذ نفسه بتقييم السلوك العدواني الذي يقوم به، وهنا قد يتم سؤال التلميذ عن عدد المرات التي تشاجر فيها مع التلاميذ الآخرين، وما إلى ذلك، ومن أمثلة مقاييس التقدير الذاتي مقياس (باص - Buss) و(ديركي - Durke).

3 - القابلة السلوكية

تتميز هذه الطريقة بالتعرف على خصائص السلوك العدواني من خلال مقابلة التلميذ وجها لوجه، وتعتمد المقابلات السلوكية على تحديد الظروف التي يتم فيها العدوان، والعمليات المعرفية والانفعالية التي صاحبها السلوك العدواني، ومعرفة أنواع هذا السلوك والنتائج المترتبة عليه (سارة فتحي علي، 2009: 22).

4 - تقدير الأقران

تقوم هذه الطريقة على توجيه مجموعة من الأسئلة إلى عدد من التلاميذ للإجابة عنها، وذلك بهدف التعرف على التلاميذ العدوانيين، لذا فإن تقديرات الأقران والزملاء تعطي معلومات عن جانب مختلف من الشخصية، لأن قيام مجموعة بالتقدير يعطي فرصة لعدد كبير من الحكم مما يترتب عليه أن متوسط التقديرات بالنسبة إلى سمة معينة من سمات الشخصية تكون أكثر ثباتاً من التقديرات التي يقوم بها فرد واحد،

بالإضافة إلى أن تقديرات الأفراد تعبر موضوعياً عن سمة الفرد، باعتبار أن السمة تقوم على السلوك الفعلي للفرد .

5- قوائم التقدير.

في هذه الطريقة يتم استخدام قوائم سلوكية محددة، حيث يقوم المعلمون أو الآباء أو المعالجون بتقييم مستوى السلوك العدواني، ويتم اللجوء إلى قوائم التقدير في الحكم على الشخص، ويكون ذلك في صورة تقدير لسمات معينة لديه كالعدوان، أو غيرها من السمات، ولمعرفة كون هذه السمة موجودة لدى الطفل بشكل أعلى، أو أقل من الآخرين، وفي هذه الطريقة يقوم الآباء، أو المعلمون، أو المعالجون، أو غيرهم ممن تربطهم به صلة كافية في مواقف عديدة ومتنوعة.

ويستفاد من هذه القوائم في توضيح جانين هامين من السلوك لدى الفرد هما: نوع السلوك، ودرجة حدوثه (عون نوري عون، 2012: 53)

النظريات المفسرة للسلوك العدواني

مع تعدد أشكال العدوان ودوافعه حاول العديد من العلماء وضع نظريات لتفسير أسباب العدوان، ولذلك جاءت تفسيراتهم مختلفة تبعاً لتباين واختلاف التوجهات النظرية والمناحي الفكرية لهم في هذا المجال، وفيما يلي سنعرض النظريات المفسرة للسلوك العدواني:

1- النظرية البيولوجية

ترتكز هذه النظرية على العوامل البيولوجية في الكائن الحي المتمثلة في الجينات والهرمونات، والجهاز العصبي، والغدد الصماء، وأن سبب العدوان هو اضطراب بيولوجي، بمعنى أنه غير متعلم، وأن الإنسان عدواني بطبعه، وأنه محصلة للخصائص البيولوجية، وأن العدوان والعنف جزء أساسي في طبيعة الإنسان، وأنه التعبير الطبيعي لعدة غرائز عدوانية مكبوتة، وأن أية محاولات لكبت عنف الإنسان ستنتهي بالفشل.

وقد أشارت دراسات (مارك ومايو - 1977) إلى وجود مناطق في أنظمة المخ مسؤولة عن ظهور السلوك العدواني لدى الإنسان، ووجدت بعض الدراسات الحديثة أن هناك علاقة بين العدوان من جهة واضطرابات الجهاز الغدي والكرموسومات ومستوى النشاط الكهربائي في الجهاز العصبي المركزي من جهة أخرى.

وهناك دراسات أوضحت وجود علاقة بين هرمونات الذكورة (التستوستيرون - Testosterone) والعدوان، وأن مستويات هرمون الذكورة مرتفعة بطبيعة الحال لدى المجرمين من الرجال المتورطين في الجرائم العنيفة، وذلك بعكس النساء، حيث إن الرجال يرتكبون ستة أضعاف ما ترتكبه النساء من جرائم القتل، ولاسيما في المرحلة العمرية

التي تتسم بارتفاع معدل هرمون الذكورة، وقد أشارت دراسة (جاكلين) إلى أن الذكور أكثر عدواناً من الإناث، وذلك للدور الذي يؤديه هرمون الذكورة في علاقته بالعدوان (فيتاني ابوالمكارم السيد، 2000: 42)

2- نظرية التحليل النفسي

لقد صنف (فرويد) رائد مدرسة التحليل النفسي غرائز الإنسان إلى نوعين أساسيين من الغرائز وهما غريزة الحب والجنس وغريزة العدوان، حيث تهدف غريزة الحب والجنس إلى الحفاظ على الفرد وبقاء نوعه، أما غريزة العدوان فتهدف إلى التدمير والهدم والموت، وأن العدوان هو سلوك غريزي فطري، وأن الحرب وما تجلبه من خراب ودمار هو سلوك عدواني فطري، ولذلك افترض (فرويد) أن عدوان الفرد على ذاته أو على الآخرين هو بمثابة تنفيس وتصريف للطاقة العدوانية الكامنة داخله والتي لا تهدأ إلا من خلال الاعتداء على الغير بالضرب والإيذاء أو الاعتداء على الذات بالتحقير والإهانة والازدراء (طه عبد العظيم، 2007: 210).

كما أوضح (فرويد) أن كل الأفراد لديهم دافع عدواني، وهذا الدافع لا ينبغي كبته، ولكن الشخص السوي لا يعبر عن دافعه العدواني تجاه الآخرين أو حتى نفسه، إنما من خلال نشاطات اجتماعية مقبولة مثل: الرياضة والفن وغيرها، وأن طاقة الشخص العدوانية يجب إطلاقها في شكل ما خوفاً من كبته مما يؤدي إلى أشكال من العدوانية تصل إلى حد القتل أو الانتحار، ويقول (فرويد) أن الخلاص من العدوان يتم عن طريق التقارب العاطفي من جهة، وتوفير الفرص المناسبة للتنفيس عن العدوان بشكل مقبول اجتماعياً من جهة أخرى (عون نوري عون، مرجع سابق: 34).

ويؤكد (أدلر) على أن العدوان هو الدافع الأساسي في حياة الفرد والجماعة، وأن الجماعة تنمو نحو مظاهر العدوان المختلفة من سيطرة وتسلط وقوة، وأن العدوان هو أساس الرغبة في التمايز والتفوق، وهذا ما جعله يقرر أن العدوان هو تعبير عن إرادة القوة، أي الرغبة في السيطرة والتحكم في الآخرين، وعلى هذا فالعدوانية عند (أدلر) هي نوع من الدافع نحو الصراع أو النضال من أجل التفوق، واعتبر أن الهدف النهائي للإنسان أن يكون عدوانياً وأن يكون متفوقاً، والعدوانية عند (أدلر) أساسها مشاعر النقص.

وترى (هورني - Horney - 1952) أن العدوان دافع مكتسب وليس فطرياً، وأنه وسيلة يحاول بها الإنسان حماية أمنه، فالطفل القلق الذي ينعلم لديه الشعور بالأمن ينمي مختلف الأساليب لمواجهة بها ما يشعر به

من عزلة وقلّة حيلة، فقد يصبح عدوانياً ينزع إلى الانتقام من هؤلاء الذين نبذوه أو أساءوا معاملته، حيث إن الأطفال الذين لا يشعرون بالعطف والحنان في السنوات الأولى يميلون إلى الكراهية والعدوان تجاه الآخرين (طه عبد العظيم، 2007: 211).

3- نظرية الإحباط – العدوان

وهي من أشهر النظريات التي حاولت تفسير السلوك العدواني، وقد صاغ (دولا رد وميللر - 1939) نظرية الإحباط – العدوان، التي تقوم في جوهرها على أن الإحباط يؤدي إلى العدوان، وأن كل عدوان يسبقه إحباط، والأدلة توضح أن الأفراد لا يكونون عدوانيين دائماً عقب الإحباط وهناك متغيرات تحدد شدة العدوان، وهي الإحباط والعقاب، وأن الأفعال العدوانية لا تكون دائماً صريحة وواضحة بل هناك أفعال عدوانية يمكن أن توجد أيضاً في محتوى مخيلة الفرد وأحلامه وتفكيره، وأن هذه الأفعال يمكن أن توجه إلى الشخص أو الشيء الذي تم إدراكه على أنه السبب في الإحباط.

وقد أشارت (بص - Buss - 1969) إلى أن الإحباط القوي يجعل العدوان قوياً، وأن العقاب يضعف العدوان، ولكن (بارون وريتشاردسون - Baron and Richardson - 1994)، يربان أن التهديد بالعقاب يعمل على إعاقة أداء الأفعال العدوانية لأن هذا التهديد يمنع الأفراد من التنفيس عن إحباطاتهم، وتقوم نظرية الإحباط – العدوان على عدة مبادئ وهي:

1 – أن العدوان يكون دائماً نتيجة للإحباط، وأن الإحباط يكون متبوعاً دائماً ببعض أشكال العدوان.

2 – أن قوة العدوان يتوقف على كمية ومقدار الإحباط الذي يواجهه للفرد.

3 – أن كف السلوك العدواني في المواقف التي يتعرض فيها الفرد للإحباط يشعره بإحباط جديد، لأن منع العدوان يعتبر إحباطاً جديداً يزيد من الإثارة والتوتر وينمي الرغبة في العدوان فيشتد إلحاحها، مما يجعل الشخص مهيباً للعدوان الصريح أو غير الصريح لأية إثارة بسيطة من البيئة.

4 – أن إثارة العدوان تكون قوية ضد الفرد الذي يتم إدراكه على أنه هو المسؤول عن الإحباط.

5 – أن العدوان على مصدر الإحباط يؤدي إلى تفريغ الطاقة النفسية ويخفف من إثارة العدوان (طه عبد العظيم، 2007: 215).

4- نظرية التعلم الاجتماعي

ينظر أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي إلى السلوك العدواني على أنه سلوك اجتماعي متعلم مثل غيره من أنواع السلوكات الأخرى، حيث يصف (باندورا) العدوان على أنه مدى واسع من السلوك، يتم بناؤه لدى الإنسان نتيجة الخبرة السابقة التي يكتسب فيها الشخص الاستجابات العدوانية، وتوقعه أشكال متنوعة من التدعيم، وتلقي المكافأة غير المادية كالمركز الاجتماعي، والاستحسان، والتخلص من الأسر، والعدالة العقابية، ويؤكد (باندورا) أن معظم السلوك العدواني متعلم من خلال الملاحظة ثم التقليد، وهناك ثلاثة مصادر يتعلم منها الفرد بالملاحظة هذا السلوك وهي: التأثير الأسري، وتأثير الأقران، وتأثير النماذج الرمزية كالتلفزيون، بمعنى أن الفرد يقلد النماذج (Model) التي يلاحظها والمحيط به، فالأطفال يتعلمون السلوك من الوالدين والمعلمين ومن الأصدقاء، ومن خلال مشاهدتهم لأفلام العنف بالتلفزيون، ومن خلال قراءة القصص، أو من الحكايات التي يسمعونها ولكن أيضاً بوجود التعزيز.

وتشير (باص - Buss - 1961) إلى تأثير الجماعة على اكتساب السلوك العدواني، والتي تتمثل في السلوكيات العدوانية للأقران، وسلوك بعض الجماعات التي ينتمي إليها من خلال تقديم النماذج العدوانية، أو عن طريق تعزيز السلوك العدواني بمجرد حدوثه (عون نوري عون، 2012: 43).

فالأعمال العدائية إلى حد كبير هي استجابات متعلمة، والتدعيم هو بمثابة مسهل وميسر أساسي للعدوان، فالناس يتعلمون أداة سلوك معين، لأن هذا السلوك أعقبه شيء سار، أو إرضاء لحاجة، أو أنهم يتعلمون تجنب سلوك ما تعقبه نتائج غير سارة، أو مؤلمة، فالفرد يتعلم الانتقام والثأر من الذي أهانه وتشاجر معه أو عذبه، لأن والده امتدحه على دفاعه عن حقوقه حينما فعل ذلك.

وتتلخص نظرية التعلم الاجتماعي في أن السلوك العدواني هو شكل من أشكال السلوك الاجتماعي المكتسب، وبالتالي فإن هذه النظرية أكثر تقاؤلاً من النظريات الأخرى التي تفسر السلوك العدواني فيما يتعلق بإمكانية الحد من السلوك العدواني عند الإنسان، ويمكن تعديله والتقليل منه باعتباره سلوكاً مكتسباً.

إن هذه النظرية تعد أن الفرد لا يُظهر السلوك العدواني إلا وفق محددات اجتماعية معينة، لذلك فإن هذه النظرية لاقت قبولاً من علماء النفس والاجتماع (أحمد ظاهر محسن، 2003: 68).

علاج السلوك العدواني عند الأطفال

1 – عدم اللجوء إلى أسلوب العقاب مع الأطفال عندما يظهرون سلوكاً غير مرغوب فيه، أو يخرقون النظام في البيت أو المدرسة؛ لأن العقاب سوف يؤجج روح المقاومة والقتال لديهم، وتزداد عدوانيتهم، وفي ذات الوقت لا يجوز لنا أن نترك الحبل على الغارب ونكون مفرطين في التسامح واللين وتلبية طلباتهم ورغباتهم كيفما شاءوا، وإنما يجب أن يكون هناك قدر معقول من التوازن بين ما يرغبه الطفل والمحددات التي تعيق هذه الرغبة لكي نوفر له نمواً انفعالياً سليماً مع ثقة عالية بالنفس تساعده في المستقبل على قهر الصعاب التي تواجهه.

2 – مساعدة الطفل على أن يتخلص من توتره، فلا ننزعج منه عندما يظهر غضبه في المواقف التي تستدعي الغضب؛ لأن التوتر إذا بقي مضغوطاً ومكبوتاً لدى الطفل فقد يولد انفجارات انفعالية مؤذية للطفل وللمن حوله.

3 – لا بد أن تعرف أن الطفل مقلد جيد ومن الطراز الأول، وهو يقلد أقرب الناس إليه ويعده نموذجاً يتقمصه في ممارسته لسلوك ما، وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن الطفل قد يتعلم السلوك العدواني من والده الذي يستخدم معه أو مع أحد أخوته العقاب، فيتعلم منه كيف يمارس عدوانه على الآخرين، أو قد يتعلم العدوان من فيلم كارتون يشاهده في التلفزيون ويحاول أن يتقمص شخصية بطل الفيلم الذي يحاول أن يفرغ عدوانه على الآخرين، وهذا الأسلوب الذي يتم بالتعلم يدعى النمذجة، أي إن الطفل يتخذ له نموذجاً يتقمصه، ويحاول أن يقلده في الأسلوب العدواني الذي مارسه النموذج، وبذا فإن ذلك يتطلب منا أن نكون حذرين في هذا الجانب، ونحاول جاهدين أن نبعد الأطفال عن تقليد النماذج التي تظهر العدوان أو تمارسه، سواءً منا نحن الكبار أو من الأفلام التي يشاهدونها أو أية مواقف أخرى.

4 – على الوالدين أن يتدخلوا بحزم ولا يسمحان لأطفالهما بمشاهدة برامج الكبار، وخاصة تلك التي تمجد العنف والقوة، وتركز على القدرات الخارقة للإنسان؛ لأن مثل هذه البرامج تحدث آثاراً نفسية ضارة في نفوس الأطفال.

5 – الاطمئنان والأمن النفسي ضروري جداً للطفل، وهذا يأتي من خلال اهتمام الوالدين بطفلهم وحياته المدرسية وبأصدقائه، لأن فقدان هذا الاهتمام يدفع الطفل إلى خلق أجواء عدوانية يتسلط من خلالها على غيره باستخدام القوة بقصد الحصول على الأمن النفسي والرضا عن الذات اللذين يفتقدنهما في حياته كنوع من التعويض (حكمت الحلو، 2009: 165).

6 – عدم التساهل أو التهاون إزاء السلوك العدواني، بل لابد وأن يعرف الطفل أن هناك دائماً عواقب لسلوكه العدواني، كما أن هناك مكافآت للسلوك المتحضر، وإذا قمنا بتأديب الطفل أو عقابه فيجب أن يتم ذلك بشكل صحي.

7 – إعطا القدوة الحسنة من الوالدين والمعلمين والشخصيات المؤثرة في حياته، وإن التعامل مع الآخرين يتم بالاحترام والمودة والأخذ والعطاء، ولا يتم بالعنف والعدوان.

8 – التعرف على بواعث السلوك العدواني، هل هي اضطرابات عضوية لها علاقة بالمخ أم اضطرابات نفسية أم ظروف اجتماعية ؟ وتحاول التعامل معها حسب طبيعتها، بالعلاج الدوائي أو بالعلاج النفسي أو كليهما معاً أو العلاج الاجتماعي.

9 – توفير فرصة للتلاميذ لمزاولة الألعاب الرياضية والألعاب المسلية للترفيه عن أنفسهم.

10 – شغل وقت فراغ التلميذ العدواني بما يتفق مع ميوله وقدراته وتصميم بعض النشاطات المحببة إلى نفسه والنافعة له.

11 – تغيير ظروف البيئة التي تدفع التلميذ إلى العدوانية ومساعدته لكي يواجه المواقف المحيطة ويقومها (رافدة الحريري، زهرة بن رجب، 2008: 74)

12 – الحديث مع الذات: درّب أطفالك على كيفية التحدث مع أنفسهم للتخلص من شعورهم بالغضب، علمهم كيف يقاومون الإحباط والاهانة بقولهم لأنفسهم وبطريقة صامتة أفكاراً مهدئة عن ضبط النفس، أو أفكاراً تضع الموقف في منظور معين، فمثلاً إذا قام رفيق طفلك في اللعب بإيذاء شعوره، فبإمكانه تخفيف غضبه بقوله لنفسه "عندما يكون الأطفال شريرين معي، فإنني أشعر نحوهم بالأسف، لابد إنهم يشعرون بالاستياء الشديد حتى يتصرفوا بهذه الحقارة"، أو "حسناً أن الشتائم لن تؤذيني بشكل حقيقي لذا سوف أكتفي بتجاهلهم"، أو "إن ذلك لا يزعجني حقيقة. إنه لا يستحق أن أنزعج بسببه"، وإذا قام الطفل بسكب الألوان التي يستعملها فإن بإمكانه التخفيف من شعوره بعدم الكفاءة بقوله، "عندما أقوم بعمل خاطيء عليّ أن أحاول التفكير بكل الأشياء التي أعملها بشكل صحيح (محمد العميرة، 2002: 123)

المراجع

- 1- حسين علي فايد، العدوان والاكتئاب في العصر الحديث، (نظرة متكاملة)، الإسكندرية، مؤسسة حوريس للنشر، 2001.
- 2- حكمت الحلو، مشكلات الأطفال السلوكية في البيت والمدرسة، الطبعة الأولى، القاهرة: دار النشر للجامعات، 2009.
- 3- خليل قطب أبو قرو، سيكولوجية العدوان، القاهرة: مكتبة الشباب، 1996.
- 4- رافدة الحريري، زهرة بن رجب، المشكلات السلوكية والنفسية والتربوية لتلاميذ المرحلة الابتدائية، عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، 2008.
- 5- زكريا الشربيني، المشكلات النفسية عند الأطفال، القاهرة، دار الفكر العربي، 2008.
- 6- سارة فتحى علي، مدى فاعلية العلاج باللعب في تخفيض السلوك العدواني لأطفال مرحلة رياض الأطفال، رسالة ماجستير (غير منشورة)، طرابلس، مدرسة العلوم الإنسانية، 2009.
- 7- طه عبد العظيم حسين، استراتيجيات إدارة الغضب والعدوان، الطبعة الأولى، عمان: دار الفكر، 2007.
- 8- عصام فريد عبدالعزيز، المتغيرات النفسية المرتبطة بالسلوك العدواني للمراهقين وأثر الإرشاد النفسي في تعديله، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أسبوط، 1986.
- 9- علاء جابر السيد عبود، العدوان لدى تلاميذ الحلقة الثانية من التعليم الأساسي وعلاقته بأساليب التنشئة الاجتماعية كما يدركونها، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة عين شمس، 1994.
- 10- عون نوري عون، فاعلية برنامج أرشادي لخفض السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني، رسالة ماجستير، جامعة طرابلس، 2012.
- 11- فيتاني ابوالمكارم السيد، مدى فاعلية برنامج في تخفيف حدة السلوك العدواني لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، القاهرة، 2000.
- 12- محمد المهدي، الصحة النفسية للطفل، الطبعة الأولى، مصر، المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع، 2008.
- 13- محمد حسن العمارة، المشكلات الصفية، السلوكية، التعليمية: الأكاديمية، الطبعة الأولى، عمان: دار المسيرة، 2002.

-
- 14- نادية سعد غشير، أثر التدريب على المهارات الاجتماعية في خفض السلوك العدواني لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي، رسالة ماجستير، جامعة طرابلس، 1999.
- 15- نادية قطعاني، محمود برهوم، طرق دراسة الطفل، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1998.
- 16- نبيل حافظ، نادر قاسم، برنامج إرشادي مقترح لخفض السلوك العدواني لدى الأطفال في ضوء بعض المتغيرات مجلة، الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس، العدد الأول، 1993.